

محاضرة بن أدامز – ٤ سبتمبر, ٢٠٠٩

ألقي بن أدامز محاضرة عن بحثه كالمحاضرة الأولى في سلسلة المحاضرات التي يكفيله قسم دراسات الشرق الأوسط. كانت هذه المحاضرة مميزة لأن بن أدامز زميلنا. هو طالب في السنة الثالثة في قسم علم الإنسان يبحث الشعر وعلم الفلك في الجاهلية وفي وقت انتشار الإسلام في المغرب العربي. بدأ تقديمه بشكر القسم وأساتذته, وأسرته. وكان ابنه وزوجته موجودين في المحاضرة أيضاً. وقد ناقش أيضاً الطريقة التي تبعها في بحثه هذا. درس اللاهوت في الباكولوريوس, ودرس الأدب العربي للماجستير, والآن يدرس علم الإنسان ودراسات الشرق الأوسط في نفس الوقت. الفلك هو أهوية أدامز, خارج الدراسة, ويستخدم علمه عن هذا الموضوع في بحثه, فأقترح أن من الممكن أنه يدمج هويته ودراساته ..

بعد أن قدّم ناقش أدامز عن سيرة ذاتيته, بدأت المحاضرة مع بيان مواقع النجوم في السماء خلال العام. يتغير مواقع النجوم حسب الموسم, أو حسب لدورة الفلكية لقریب إلى دورة المواسم. قرأ أدامز الشعر من فترة الجاهلية التي كتبها القوافل في ليبيا وشمال المغرب, ويتناول الشعراء مواقع النجوم ليأشرونا الوقت في شعرهم. استخدم أدامز أدارات من الفلك بالإضافة إلى كتب عن الفلك في التراث العربي ليؤكد أن مواقع النجوم مذكورة في الشعر, واكتشف أن الشعراء ارتكبوا أخطاء في استعمالهم مواقع النجوم. أوضح أن النجوم تتبع منهج مختلف تماماً عن المنهج لمستعمل في الشعر. لذا وصل أدامز إلى سؤال بحثه ليس واضح. لماذا يستعمل الشعراء منهج ليس صحيح؟ من يستفيد من استخدام هذا المنهج؟ انا ليست خبيرة في علم الفلك. انا أذب إلى القول أنني ما عرفت أي شيء عن الفلك قبل لإستماع إلى هذه المحاضرة. لكنني لم أفهم العلاقة بين هذا السؤال وبقيّة تقديم بن أدامز.

بعد تقديم هذه النقطة, أوضح أدامز مرحلة جديدة في حياة القوافل. قبل ظهور وانتشار الإسلام, لعبت النجوم دور مهم في الأديان الإقليمية. منع الإسلام كل نظم عقائد التي تعتمد على النجوم, لكن ومع ذلك أستمر ذكر النجوم والفلك في الشعر من شمال المغرب خلال القرون الأولى من الإسلام. استمرت الأديان الأقلية نفوذها فيمن طرق من مباشر إلى الخفي, لكن من الواضح لأدامز في تناوله الأرشيف أن موجود نفوذها لوقت ملحوظ. ألحق أدامز هذا الأشتباك – بين مبادئ الإسلام ووجود تأثير نظم العقائد الإقليمية في هذه المناطق – إلى حملة الإسلاميين بدأ مع النبي محمد ضد دور الشعراء في المجتمع العربي بعد ظهور الإسلام في القرن السابع. (بعض الأساتذة الذين حضروا المحاضرة عارضوا هذه الفكرة في فترة الأسئلة بعد المحاضرة).

بدأ أدامز القضايا التي أنا أهتمّ بها في نهاية تقديمه عندما ألحق ببحثه لمفهوم الحداثة. من الممكن أن نعمّق فهمنا عن الحداثة من خلال رسالته للدكتوراة. عندما انتشر الإسلام, تغيرت حياة كل شخص في العالم العربي بشكل ملموس. وحدثت التغيرات سريعاً في كل مستويات المجتمع. شرح أدامز أن تأثر هذه الفترة فترة الثورة في تشكل أفكار الناس. مثل فترة التنوير. اذا درسنا المنهج الذي اتبعه هذا المجتمع في تسويته إلى الحياة مع نفوذ السلام موجود في كل جوانبها, فنحسن فهمنا عن تستحق الحداثة في الوقت الحاضر.

في رأيي, يعتمد هذا التحليل وجهة نظر خاص عن مفهوم الحداثة حيث هي تقترح فترة التغيير من أي نوع. المهم ليس طابع التغيرات نفسها, المهم هو حقيقة التغيير. أظن هذه وجهة نظر هذه تتجاهل أهمية خصائص مميزة للحداثة.